ضربٌ زيدٌ عمراً

مسكين زيدٌ وعمروٌ فإنهما ما زالا منـذ عهد سيبوَيْه يتضاربان « ويترافسان » اكراماً لساداتنا النحاة . فتارةً يكون زيد ضارباً وطوراً يكون مضروباً

لي صديق من العلماء المستشرقين أنفق السنين الطوال في درس اللغة العربيـة والاطلاع على شواردها وضوابطها . دخلتُ عليهِ ذات يوم فرأيتُ وجهه يطفح بشراً وهو يقول : « الحمد لله ! الحمد لله ! »

فقلت : « ما الخبر ؟ »

فقال : « لقد أخذ عمروٌ بثأره »

فقلت : « وكيف ذلك ؟ »

فأجاب : «لقد أنفقتُ عشرين عاماً وأنا أدرس كتب النحاة وأطالع مؤلَّفات الأئِمَّة فلم أجد مثالاً للفاعل والمفعول إلاَّ قولهم « ضرَب زيدٌ عمراً » وقد عثرتُ الآن على مَثَلٍ جديد وهو قولهم « ضرب عمروٌ زيداً » فالحمد لله لأن عمراً أخذ بثاره من زيد فضربهُ ولو مرَّة واحدة في الحياة »

في كلام هذا العالِم حكمةٌ سامية. فان الشرقيين يتقاتلون ويتضاربون كتضارب زيدٍ وعمروٍ في كتب النحاة . وما ذلك المثال الا دليل على الطباع والأخلاق

يبدأ الاوربي أجروميته بتصريف فعل « أحبَّ » . ويبدأ الشرقي

أجروميته بتصريف فعل « ضرب » أو « قتل » . ذلك يمرّن على الحب وهذا يمرّن على الضرب والقتل . فيحق للأوربي والحالة هذه اذا أراد أن يتعلّم الصرف العربي أن يتقلّد سيفه وترسه اتقاء لشرّ المضاربات بين زيد وعمرو

رحم الله سيبويه ! ما ضرّهُ لو أنهُ أبدل فعل « ضرب » بفعل « أحبّ » أو غيره من الأفعال التي لا تضطرّ القارىء أن يحمل دروعه وأسلحته ؟ ألم يكن في قاموس اللغة غير ذلك المثل المشؤوم ؟

حقاً لو أراد عمروٌ أن يتقاضى زيداً أمام المحاكم لظلّ القضاة ينظرون في دعواه أعواماً عديدة . ولو عرض كلاهما نفسه على حكيم الصحة لأمر لهما بمعالجة أربعين عاماً . ولو عددنا الجروح التي في رأس كل منهما لاحتجنا الى جيش من الكتبة والحاسبين . ولو استشهدنا سيبويه ونفطويه لشهدا على كلٍّ منهما بالاعتداء على رفيقهِ . أفما كان الأجدر بقاضي الصلح أن « يصلح بينهما » ويعيد الأمن الى نصابه بين عائلتيهما حفظاً للراحة العمومية ؟

***

في كتب النحو أمثلة أخرى تدل على طباعنا . من ذلك قولهم « مات زيد » وهو وايم الله لا يزال حياً يُرزق يضرب عمراً من جديد . وقد أزرقّ عنقُ عمروٍ وعقُر ظهره من شدّة الضربات والرفسات . وزاد الطين بلّةً ان جمعية الاسعاف أهملتهُ ولم تشفق عليهِ . فوارحمتاه على عمرو ! انهُ لن يخلص من ضربات زيد ولو مات زيدٌ عشرين مرّةً في كتب النحاة .

اذ لا تكاد تسمع نعيَّه حتى يعود الى الحياة ويستأنف ضرب عمروٍ. فهو كالسنَّور له سبعة أرواح

*
* *

ومن أمثلة النحاة أيضاً — أو بالحري علماء الصرف — قولهم : «أحوَل» و «أعوَر» و «أعرج» و «أقطع» الى غير ذلك من الامثلة التي لم تكن تبرح من فكر سيبويه . ولو جمعنا جميع أصحاب العاهات الذين أحيا النحاة ذكرهم لضاقت بهم الأرض والسماء . ولعلَّهم أُصيبوا بعاهاتهم من جرَّاء ضرب زيدٍ لعمروٍ وغيره

ومن البليَّة أيضاً قول ساداتنا النحاة إن أمثال الأحوَل والأعوَر والأعرج لا « ينصرفون » . فسيظلون يلازموننا الى أن يقوم رجل أشدّ بطشاً من زيد ، فيبطش بهم كما بطش هذا بعمروٍ ، ويُريح تلاميذ المدارس منهم

سامحك الله يا سيبويه !

ومن البليَّة أيضاً أنّ « النصب » عند النحاة حالة من حالات الاعراب . ومثلها « الخفض » أيضاً . وقد « يرفعون » من لا يستحق أن يُصفع بالأحذية . فاذا قُلنا « سرق زيدٌ مال عمرو » قالوا يجب « رفع » زيد ، لانهُ ارتكب جناية فعل السرقة . ويجب « خفض » عمرو ، لأنهُ الشخص المسروق منهُ

ما شاء الله كان ! . . .

أيُرْفَعَ زيدٌ ويُعْلَى شأنهُ لأنهُ سَرق ، ويُخْفَض عمرو وتُدَاس حقوقه

لأن زيداً سرَق منهُ ؟ فياللّه من هذا الظلم والاستبداد ! ألم يكن في وسع النحاة أن ينصفوا عمرواً ولو مرة واحدة في الحياة ؟

* * *

حاشية — بمزيد السرور وعظيم الابتهاج ننعي الى طلبة الصرف والنحو حضرة الشيخ عمرو، عدوّ زيد. وجار بكر، ونسيب نفطويه. انتقل من الديار الفانية بعد عمر قضاه في احتمال الضربات من عدوّه زيد وقد أسلم الروح فراح شهيد النحاة على أثر الجروح المميتة التي أُصيب بها على أُمّ رأسه. «فانصرف» مع أنهُ كان أعوَر. والتمست جمعية الشفقة على الحيوانات من عدوّه زيد أن لا يلحق به الى دار الخلود. وسيُحتفل بتشييع جنازته من دار نفطوَيه الى قبر سيبوَيه ليُدفنَ معهُ وتستريح عظامه المرضوضة

وسيُنقَش على ضريحهِ: «ضرب زيدٌ عمرواً ...»

سليم عبد الاحد

حِكَم للإمام علي

مَن وضعَ نفسَهُ مواضعَ التُّهمَةِ فلا يلومنَّ مَنْ أساءَ بهِ الظنَّ

النَّاس أعداءُ ما جهلُوا

آلةُ الرِّئاسةِ سعَةُ الصدْرِ

ما اختلفَتْ دَعوَتانِ إلاّ كانَتْ احداهما ضَلالَة

مَنْ لمْ يُنجِهِ الصبرُ أهلكهُ الجزَعُ

فكاهة

كان رجلٌ يكثرُ الطعامَ على العشاء ، فاذا نام غطَّ غطيطاً هائلاً ، وشخر شخيرًا متواصلاً ، فيقلق زوجتهُ ، فتوقظهُ ليُغيّر ضجعتهُ ويريحها من غطيطه ، فكان يغضب ويجادلها قائلاً : « ما أنا غططتُ وشخرتُ ، بل أنتِ » فتصمتُ ، وتصبرُ على مصيبتها حتى عيل صبرها وفارقها جلدها . فعمدت أخيرًا الى حيلةٍ تحجُّهُ بها ، وتقنعهُ عساهُ أن يُقلِّلَ من نهمتهِ ، ولا يغطّ في نومهِ . فجاءتهُ ذاتَ يومٍ ، وبيدها الفونوغراف ، وأدارتهُ وقالت : أتعلم ما هذا الصوت ؟

فقال : هديرُ البعير ، بل نهيقُ الحمير ، لا بل قباعُ الخنزير ، بل مواءُ السنانير ، بل طنين الزنابير

وكان كلما أدارت مرّةً ، غيَّر حكمهُ فى الصوت ؛ وهي تقول « لا » حتى ضاق صدره . فقال : قولي لي ما هو ، وأريحيني ، من هذه الأصوات المنكرة التي تملأُ الجسمَ رعدةً وقشعريرة

قالت : هذه أصواتُ شخيرِكَ التي صبرتُ عليها الأعوامَ ، ولم تصبر عليها أنتَ لحظةً من الزمان . فقد وضعتُ الفونوغراف فوق رأسك وأنتَ نائمٌ ، فدوّنَ ما أنتَ سامع . فإذا أيقظتُكَ بعد الآن ، فاتركْ الحِجاجَ والجدال ، وارثِ لحالتي ، واطلبْ الى اللهِ أن يُصبّرني على مصيبتي . فسكتَ خجلاً ، ثمَّ أطرقَ هُنيهةً وقال : « اثنان لا بُدَّ من تركهما : النهمةُ على العشاء ، ومجادلة النساء »